الفيلسوف زئبق
بقلم: فاطمة الشيخ
رسوم: زهراء ترمس

إضـــرابٌ عَنِ القِراءَةِ!

عَلامَ كُلُّ هذا التَّشجيعِ على القِراءَةِ؟
ماذا لَوْ قرّرَ كُلُّ أَطفالِ العالَمِ، بَلْ والكِبارُ أَيضًا،
إضْرابًا عَنِ القِراءَةِ؟
ماذا لَوْ هُجِرَتِ الكُتُبُ؟ ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَحصُلَ؟

قَبلَ أَنْ نُطلِقَ مُخَيِّلاتِنا لِنَتَصَوَّرْ حالَةَ الإضرابِ تِلكَ، لِنَتَساءَلْ سَوِيًّا حَولَ هَذِه الحَقيقَةِ:

مُنذُ القِدَمِ، كانَ أَوَّلَ ما يَفعَلُهُ المُعتَدونَ الَّذينَ كانُوا يَطْمَعونَ بِخَيراتِ البِلادِ، هُوَ سَرِقَةُ المَكتَباتِ أَو حَرْقُها! **فَلِماذا كانَتِ الكُتُبُ تُشَكِّلُ خَطَرًا على الأَعداءِ؟**

هَلْ تَعلَمُ كَيفَ كانَ حالُ العَرَبِ قَديمًا؟ كانوا كَمَوسوعَةٍ عِلميَّةٍ كَبيرَةٍ، يُرسِلونَ بِعُلومِهِم إلى الشَّرقِ والغَربِ، ويَنسَخونَ كُتُبَهُم يَدَويًّا.

لِنَقتَرِبْ بِالزَّمَنِ إلى تِلكَ الأَيَّامِ الَّتي كانَ فيها الفَيلَسوفُ والمَرجِعُ **الشَّهيدُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ باقِرُ الصَّدرِ** وأُختُهُ الشَّهيدَةُ بِنتُ الهُدى لا يَملِكانِ ثَمَنَ شِراءِ الكُتُبِ، فَيَشتَرِيانِ كِتابًا، يَقرَآنِهِ جَيِّدًا، ويُلَخِّصانِهِ، ثُمَّ يَبيعانِهِ كَيْ يَشتَرِيا بِثَمَنِهِ كِتابًا آخَرَ.

لِنَقتَرِبْ أَكثَرَ إلى الوَقتِ الَّذي كانَ فيهِ العَدُوُّ الإسرائيليُّ يَقتَحِمُ بَعضَ البُيوتاتِ الجَنوبِيَّةَ ويُحرِقُ البَيتَ الَّذي فِيهِ مَكتَبَةٌ أو جَرائِدُ! لِماذا كُلُّ هذا التَّوَتُّرُ والخَوفُ مِنْ كُلِّ ما يُقْرَأُ؟ كَيْ لا يَتَثَقَّفَ النَّاسُ ولا تَصِلَهُم أَفكارُ الإمامِ الخُمَينِيِّ الَّذي عَلَّمَ الشُّعوبَ المُستَضعَفَةَ كَيفَ يَثورُ المَظلومُ على الظَّالِمِ ويَأخُذُ حَقَّهُ بِيَدِهِ. لَكِنَّ آباءَنا أو رُبَّما أَجدادَنا كانوا قَدْ قَرَأوا التَّاريخَ جَيِّدًا، فَقامُوا بِما قامُوا بِهِ حَتّى كُنَّا أَوَّلَ مَنْ يَنْتَصِرُ على إسرائيلَ. وما زِلنا نَحْصِدُ الإنتِصاراتِ لِأَنَّ شَبابَنا الَّذينَ يَتَقَدَّمونَ لِساحاتِ الجِهادِ، كانوا قَدْ قَرَأوا كُتُبًا حَولَ الشُّهداءِ الماضينَ، واطَّلَعوا على خُطورَةِ بَقاءِ مِثلِ هذا العَدُوِّ.

ذاكَ العَدُوُّ الَّذي أَحرَقَ المَكتَباتِ، ما يَزالُ قائِمًا بِقُربِنا، يُراقِبُنا، يُراقِبُ شَغَفَنا، يَومِيَّاتِنا، يُريدُنا أَنْ لا نَكونَ واعينَ لِأَيِّ شَيْءٍ، يُريدُ أَنْ يُفسِدَ عُقولَنا بِالبَرامِجِ التِّلفزيونِيَّةِ والأَلعابِ الإلِكترونِيَّةِ الغَربِيَّةِ والغَريبَةِ عن ثَقافَتِنا وأَخلاقِنا وحَضارَتِنا. **إِنَّهُ يَعمَلُ جاهِدًا كَيْ يُبعِدَنا عَنِ الكِتابِ.**

والآنَ هَلْ نَستَطيعُ تَصَوُّرَ حالَتِنا فِيما إذا استَسلَمْنا وقرّرْنا إضرابًا عَنِ القِراءَةِ؟ شَخصِيًّا لا أَظُنُّني أَستَطيعُ، وأَنتُم؟